شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعي

٣٠ محفوظ النيلي

﴿ اسمهُ ونسبهُ وزمانهُ ﴾ هو الحكيم ابو العلاء محفوظ ابن المسيحي بن عيسى النصراني النيلي الطبيب والاديب الشاعر . كان من اهل العراق ونسبتهُ الى النيل وهي بلدة على الفرات في سواد الكوفة بين الكوفة وبغداد . وقد عُرف ايضاً بالواسطي لانهُ كان نزيلَ مدينة واسط يسكنها فنُسب اليها . امّا زمانهُ فانهُ كان في اواسط القرن السادس للهجرة والثاني عشر للميلاد

﴿ علمهُ وادبهُ ﴾ قال فيهِ جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٢٧ — ٣٢٨): « كان طبيباً فاضلاً نبيلاً مذكوراً في وقتهِ عالماً بصناعة الطب مرتزقاً بها جميل المشاركة محمود المعالجة . ولهُ مع ذلك ادبٌ طريٌ ، وخاطرٌ في النظم سريٌ ، وكان موجوداً بالعراق سنة ٥٥٩ (١١٦٣م) »

وقد عرفهُ عماد الدين الاصفهاني وذكرهُ في خريدة القصر وجريدة العصر (Ms de Paris 1447 f. 165) فقال : « الحكيم ابو العلاء محفوظ سكن واسط وعُرف بها واكتسب بالطب . وكان فاضلاً عالماً مرضي الصنعة في مداواة المرضى مستقيم الرأي في تسقيم السقيم . لم يزل يتردد اليَّ مدةَ اقامتي بواسط أستطبهُ ، وأجد بمنّة الله بطبهِ من الصحّة ما استحبهُ ، وكان لجاجاً بالإلغاز ، ولا يسعهُ من ذلك شديد الاهتزاز ، واشعارهُ فيهِ مستقيمة الصدر وسليمة الأعجاز ، توفي في اوائل سنة ستين وخمسمائة (١١٦٥م) وكان قبل ذلك بأشهر قريبة يجتمع بنا ونتذاكر ما قيل في اللغز »

ومما ذكرهُ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبّاء (ص ٢١٧ــ٢١٨) ان عليّ بن هبة الله الارّدي شرح كتاب دعوة الاطباء لابن بطلان وأنّهُ لابي العلاء محفوظ

﴿ اشعارهُ ﴾ لم نقف لحفوظ على شعر إلّا ما رواهُ عنهُ عماد الدين الاصفهاني في الالغاز . قال : ممّا انشد فيهِ لنفسهِ براسط في عاشر شوّال سنة تسع وخمسين (وخمسمائة) لغزٌ في العقل (من المنسرح) :

مَا حاضِرٌ ما يُرَى لهُ شخصُ ... فإنّهُ في اختفائهِ لِصُّ
يُضيءُ في البيتِ كالسراجِ وقد ... يَشوبُ وقتاً ضياءهُ غَمَصُ
يَبين نُقصانُهُ وليس لهُ ... رُجحانُ كَمّيّةٍ ولا نَقصُ
لكنّهُ عادلٌ يميلُ وما ... رأيتُ مَيلاً بالعدلِ يختصُّ
يَهزِمُ جيشَ الخُطوبِ مُقتدِراً ... وقد يُرى انّهُ عاجزٌ نِكِصُ
أعوانُهُ عُدّةٌ ثمانيةٌ (١ ... بهم يَنُمُّ الضَّلالُ والفَحَصُ
فهو كنُوحٍ في الفُلكِ يستترُ ... وهم كأصحابهِ اذا أُحصوا (٢
فقد كشفتُ الغطاءَ مجتهداً ... حتّى بدا من ظهورهِ نقصُ

وألغز في النار وارتفاع لهبها عن الارض (من السريع) :

ما صورةٌ كوّنها ربُّها ... من عالَمِ الجنّةِ والإنسِ
فأصبحَتْ للإنسِ ممشوقةً ... تُهدي اليهم لذّةَ النفسِ
فما لها من بَعدها رَجعةٌ ... الى مَقرِّ الوَصلِ والأُنسِ

---

١) يريد بالثمانية القوى التي يستعين بها العقل وهي الحواسّ الخمس ثمّ الخيال والحسّ وقوّة الارادة

٢) يقول انّ عدد هؤلاء الاعوان ثمانية كعدد الاشخاص الذين كانوا في سفينة نوح فنجوا من الطوفان

فما هيَ يا من غدا عالماً يَحُلُّ ما يُلتَزُ في الطِرسِ

قال العماد وانشدني محفوظ في الإلغاز لنفسه بالرُمّانة بمعنى الثمرة والقُبّان (من الرجز):

يا عالماً يَستفهِمُ عن كلّ ما يُشتَبَهُ
ما حامِلٌ عُذراءُ لم تَزنِ ولم تُتَّهَمُ
أولادُها في جَوفِها تحت الضُلوعِ جُثَّمُ
كلٌّ لهُ من تِربِها (١ عليهِ ثوبٌ يُقسَمُ
شِفاهُها كثيرةٌ فأعلَمٌ وأخرَمُ
لكن لها فردُ فمٍ ورأسُها هوَ الفمُ
من الجِنان أُخرِجَتْ والجحيمِ تُسلَمُ
وما اتت جَريمةً ومثلُها لا يُجرِمُ
بل فضلُها عند الأنا مِ ظاهرٌ يُتَنَمُ
امثالُها بينهمُ لها صِفاتٌ تُعلَمُ
فالبعضُ منها حاكمٌ يَعدِلُ فيما يَحكُمُ (٢
والبعضُ منها في الصدو رِ جالسٌ يَختشِمُ (٣
كلٌّ يرى حقوقَهُ عليهِ فرضاً يُلزِمُ
ومن شهير امرِها اذ مثلُهُ لا يُكتَمُ

١) كذا في نسخة. ويروى: في شربها. ولعلّ الصواب من تِربِها اي من لحمها وشحمها
٢) الرمّانة هنا القبّانة التي تتّخذ للوزن
٣) يشبّه ثدي النساء بالرمّانة

انَّ بها يشقى السَّقيمُ والنديمُ ينعمُ (١
وقد كشفتُ سِرَّها وعند هذا أختمُ

قال العماد. وانشد في ايضاً لنفسه في واسط رابع ذي القعدة سنة ٥٥٩ ملغزاً في آلة الطرب المعروفة بالناي (من الوافر):

ومملوكٍ رشيقِ القدّ ألمى به تلهو وتبتهجُ النفوسُ
صَموتٌ ناطقٌ أرِقٌ نؤومٌ عجيبٌ شخصُهُ شخصٌ نفيسُ
ويوحِشُ ذكرُهُ ربعَ التصابي (٢ ولولاهُ لَما أنِسَ الجليسُ
لهُ رأسٌ يُخالفُ منهُ جسماً بلا رِجلٍ فسَيِّرْ ما تقيسُ
اذا ما بانَ عنهُ ظلَّ مَيتاً وإمَّا عاد عاودَهُ الحَسيسُ
يَئِنُّ أنينَ صَبٍّ مُستهامٍ مَشوقٍ قد نأى عنهُ أنيسُ
وليس بذي صبابات ليَهوى ولكنَّ الهوا فيهِ حبيسُ

ولهُ مُعَمَّى في غلام اسمهُ سعيد (من الوافر):

وذي غُنجٍ عَلِقتُ هواهُ بَلوَى فبلبلني بطَرفٍ بابليِّ
لهُ اسمٌ ضِدُّ حالي في هواهُ فغَتِّشهُ تجِدهُ بغير عيِ
اذا أسقطتَ حرفاً منهُ يوماً فذاك يومُ افراحٍ وزيِّ
وان أسقطتَ ثانيهُ اتباعاً غدا مولى لعبدٍ او وليِّ
وان أسقطتَ ثالثهُ اختياراً يصيرُ اسماً لعبدٍ يرمنيِ

١) ويروى : بندم
٢) يريد هنا التأي مصدر نأى وهو الهجران الذي يستوحش الاصدقاء ذكرهُ

وان اسقطت رابعهُ اضطرارًا أتى نوعٌ من المَشي الوَحِيّ
فان تكُ ذا حِجًى وأخا أحاجٍ ففسِّرْ يا أخا القلب الذكيّ

وألغز في المسمّى كمالًا (من السريع):

ذا مالكٌ رِقّي هوايَ لهُ مَن اسمُهُ في البيتِ منظومُ
تهجَّهُ واجعلْ لهُ اوّلًا آخرَهُ فالاسمُ مفهومُ

قال العماد الاصفهاني: وكان لمحفوظ بن المسيحيّ عندي رسمٌ في كلّ سنة يصل اليهِ من الحنطة فكتب اليّ يُلغز بها ويطلب الرسم (من الوافر):

عمادَ الدين دعوةَ مستفيدٍ لأنك كاشفٌ عن كل دَيْنِ (١
فما صفراءُ كالذهبِ المُصفّى ولونُ لُبابها لونُ اللُّجَيْنِ
محبّبةٌ الى الارواحِ طُرًّا بها تَقوى النفوس بغير مَيْنِ
لها اسمٌ تِصْفُهُ شعبٌ قديمٌ كما زعموا بإحدى الأُمَتَيْنِ (٢
وتصفٌ جاء في القرآن نصفاً لأول سورةٍ بقراءتَيْنِ (٣
لها وقتٌ تُداسُ بكل رِجلٍ ووقتٌ فيهِ تُرْفَعُ باليدَيْنِ
أجِبْ عنها وَجُدْ بالرَّسم معها وقاكَ اللهُ آفةَ كلّ عينِ

واخبر العماد قال: كنتُ نظمتُ لغزًا في كوز القفّاع وهو الشراب الذي يتّخذ من الشعير وانشدتهُ ابا العلاء محفوظاً فأثبتهُ واتى بجوابهِ. وهذه هي الابيات التي لي:

ما صورةٌ ما مثلُها صورَهْ كأنّها في العين مطورَهْ
تُمطَرُ الريَّ ومن ذا رأى مطورةً للريِّ مطورَهْ

---

٢) ويروى: عن كلّ زين

٣) يشير الى الجنّ وهو يدعى ايضاً المنّ بالماء وذاك نصفٌ اسم الحنطة. الأمّتان الاسلام والنصرانيّة واراد منا الاسلام ٣) يشير الى سورة طه في القرآن وهي نصف لفظة حنطة

منكوحةٌ ما لم تضعْ حملَها ... مسدودةُ الأنفاسِ محبورهْ
محرورةُ القلبِ ولكنّها ... مفرورةٌ بالبَرْدِ مقرورهْ
كأنّما النارُ بأحشائها ... على اشتدادِ البَرْدِ مسجورهْ
تظَلُّ لُفّاذاً على رأسها ... خمّارةٌ تُحسَبُ مخمورهْ
مُعارةُ العامةِ من غيرها ... قصيرةُ القامةِ مكورهْ
كأنّها رأسٌ بلا جُثّةٍ ... موصولةٌ إن شئتَ مبتورهْ
كهامةِ صَلْعاءَ علوقةٍ ... ما استعملَتْ موسًى ولا نُورهْ
زارةٌ في نَبِها زُمرُها ... وهي بغيرِ الزَّمرِ مشهورهْ
دوّارةٌ إن انتَ ارسلتَها ... متوكّلُ الاستارِ مستورهْ
مَن فضّها تبصقُ في وجهِهِ ... كأنّها بالفُحشِ مأمورهْ
تُورثُ تعباً لمن باسَها ... وهي على ذلك مشكورهْ
معسولةٌ ريقتُها عَزّةٌ ... مُرسَلَةٌ بالهَضْمِ منصورهْ
ان عُقلَت فرّت وإن أُنشطَتْ ... فرّت وثارت مثلَ مذعورهْ
كم عالٍ ذاقت وكم سكّرٍ ... وأنعُمٍ ليست بمكفورهْ
ملسومةٌ من صخرةٍ صَلْدَةٍ ... فاجرةُ الماءِ ومفجورهْ
من الصفا جسمٌ ولكن ترى ... على صفاءِ الماءِ تامورهْ
فيا حليفَ المأثراتِ التي ... اضحت لاهل الفضل مشهورهْ
أنعِمْ وعجِّلْ حلَّ اشكالها ... فهي لدى فضلك مأسورهْ

فاجاب محفوظ التيلي (من الرجز):

يا ذا الذي أعربَ إلغازُهُ ... عن فِطنةٍ بالعلمِ مغمورهْ
انّ التي أطنبتَ في وصفها ... حتّى اغتدت في الناس مشهورهْ
صغيرةُ الجُثّةِ فحداحةٌ ... باردةُ الملمسِ محرورهْ
تعذّبتْ في النار حتّى اذا ... ماتت غدتْ في الثلج مقبورهْ
محبوبةُ المَخرَجِ لكنّها ... منكوحةٌ ليست بمستورهْ

ان فضَّها الناكحُ مقهورةً فاضت بماء فَيْضِ مَخْمورَهْ
او بصقتْ في وجه مُغتضِّها فإنها في ذاكَ معذورَهْ
لأنها تسقيهِ خمرًا بها يحلِل المَخمورُ تخميرَهْ
ويصبحُ الشَّبعانُ ذا شهوةٍ كلبيَّةٍ بالجوع مذكورَهْ
صورتُها تحكي اذا قِسْتَها مُصمَتَةً بالصَّنْغِ مأسورهْ
فهذهِ من طينةٍ صُوِّرت وفي لهيب النار مسجورَهْ
وتلك من جوهرةٍ صَلْدةٍ مُذابةٍ بالنار مصهورَهْ
فخُذ جوابي ملغزًا مثل ما ألغزتهُ في هذهِ الصورَهْ
وهي لمن يوثرُ كشفي لها فُقّاعةُ القُقّاعِ محصورهْ

٣١ سعيد النيليّ

ولحفوظ النيليّ مواطنٌ نصرانيٌّ وشاعرٌ مثلهُ من بلدة النيل قرب واسط ذكرهُ ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطبّاء قال (١ : ٢٥٣) : «هو ابو سَهْل سعيد بن عبد العزيز النيليّ المشهور بالفضل عالم بصناعة الطبّ جيّد المصنَّفات متفنّن في العلوم الادبيَّة بارع في النظم والنثر ومن شعرهِ (من الخفيف) :

يا مُفَدًّى العِذار والخدّ والنَّهـ ـدِ بنفسي وما أراها كثيرا
ومُعيري من سُقْم عينَيْهِ سُقْماً دمتُ مُضنى بهِ ودمتَ مُعيرا
إسقِني الراحَ تَشْفِ لوعةَ قلبٍ باتَ مُذْ بِنْتُ للهموم سَميرا
هيَ في الكأسِ خمرةٌ فاذا ما أُفرِغتْ في الحشا استحالت سرورا

(قال) وللنيلي من الكتب اختصار كتاب المسائل لحُنَيْن . تلخيص شرح جالينوس . كتاب الفصول مع نُكَت من شرح الرازي

هذا ولم نجد ذكراً لسعيد النيلي في غير ابن ابي اصيبعة

٣٢ ابن اصطفانوس الرومي

هذا ايضاً شاعر عاش في اواسط القرن السادس للهجرة والثاني عشر للمسيح . وغاية ما نعرف لهُ من الاخبار ما نقلناهُ عن كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لكمال الدين الحلبي عن نسخة لندن (Car Mss. Brit. n° MCCXC) قال : «كان ابن اصطفانس فيلسوفاً شاعراً وُلد بالروم ونشأ بأنطاكية وكان ذا هيبة اديباً شاعراً نحوياً فيلسوفاً نظّاراً . سافر الى العراق ولقيَ بهِ العلماء ولُقّن من العلوم والآداب ما علا بهِ صيتُهُ واشتهر ذكرهُ في الازمان» . ثمّ ورد هناك اخبار أُخرى متحرة قدّمنا يؤخذ منها انّ ابن اصطفانوس أرسل سفيراً الى الخليفة العبّاسي المستضي بالله الذي كان وزيرهُ عليّ بن عبد الرحمان البازوريّ ... وانهُ اجتمع برجل اسمهُ يوسف بن (؟) الكفرطابي الذي كان يدرّس في كفرطاب . هذا ما رواهُ كمال الدين ولم نقف في غيرهِ على اخبار ابن اصطفانوس (لهُ بقية)

مذهب التقمُّص (١

بقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعي

١ خرافات وهواجس

بلغنا انّ احد امراء الدروز في غاراتهم الحديثة وقف على جسر في وادي التيم وصاح برجاله قائلًا : ألا آعلموا يا قوم انّي وقعت قتيلًا ههنا منذ خمسين عاماً ثم أُحييتُ وها انا اقودكم للقتال

١) قد عوّلنا في انشاء مقالتنا هذه على المؤلفات التالية :